(٢٣)

الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رضي الله عنه :

ممايدل أيضاً على تقديمهم عليهم السلام وتعظيمهم على البشر أن الله تعالى دلنا على أن المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى في أنها ايمان واسلام، وأن الجهل والشك فيهم كالجهل به والشك فيه في أنه كفر وخروج من الايمان ، وهذه منزلة ليس لاحد من البشر الالنبينا صلى الله عليه وآله وبعده لامير المؤمنين عليه السلام والائمة من ولده على جماعتهم السلام .

لان المعرفة بنبوة الانبياء المتقدمين من آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام، أجمعين غير واجبة علينا ولاتعلق لها بشيء من تكاليفنا، ولولا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من الانبياء المتقدمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن والا فلاوجه لوجوب معرفتهم علينا ولاتعلق لها بشيء من أحوال تكليفنا [1] ، وبقي علينا أن ندل على أن الامر على ما ادعيناه .

---

١) في المصدر : تكاليفنا .

والذي يـدل على أن المعرفة بامامة من ذكرناه عليهم السلام مـن جملة الايمان وأن الاخلال بهاكفر ورجوع عن الايمان، اجماع الشيعة الامامية على ذلك ، فانهم لايختلفون فيه ، واجماعهم حجة بدلالة أن قول الحجة المعصوم الذي قددلت العقول على وجوده في كل زمان في جملتهم وفي زمرتهم، وقددللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة مـن كتبنا واستوفيناها في جواب التبانيات خاصة ، وفي كتاب نصرة ما انفردت بـه الشيعة الامامية مـن المسائل الفقهية ، فان هذا الكتاب مبني على صحة هذا الاصل .

ويمكن أن يستدل على وجوب المعرفة بهـم عليهم السلام باجماع الامة ، مضافاً الى مابيناه من اجماع الامامية وذلك أن جميع أصحاب الشافعي يذهبون الى أن الصلاة على نبينا صلى الله عليه وآلـه وسلم في التشهد الاخير فرض واجب وركن من أركان الصلاة من أخل به فلاصلاة لـه [1] ، وأكثرهم يقول : ان الصلاة في هذا التشهد على آل النبي عليهم الصلوات في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليها كالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، والباقون منهم يذهبون الى أن الصلاة على الال مستحبة وليست بواجبة .

فعلى القول الاول لابد لكل من وجبت عليه الصلاة من معرفتهم من حيث كان واجباً عليه الصلاة عليهم ، فان الصلاة عليهم فرع على المعرفة بهم ، ومن ذهب الى أن ذلك مستحب فهو من جملة العبادة وان كان مسنوناً مستحباً والتعبد به يقتضي التعبد بما لايتم الابه من المعرفة . ومن عدا أصحاب الشافعي لاينكرون أن الصلاة على النبي وآله في التشهد مستحبة وأي شبهة تبقى مع هذا في أنهم عليهم السلام أفضل النـاس وأجلهم وذكرهم واجب في الصلاه . وعند أكثر

---

١) في المصدر : متى اخل بها الانسان فلاصلاة له .

الامة من الشيعة الامامية وجمهور أصحاب الشافعي أن الصلاة تبطل بتركه وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم أو تتعداهم ؟ .

ومما يمكن الاستدلال بـه على ذلك أن الله تعالى قد ألهم جميع القلوب وغرس في كل النفوس تعظيم شأنهم واجلال قدرهم على تباين مذاهبهم واختلاف دياناتهم ونحلهم، وما اجتمع[1] هؤلاء المختلفون المتباينون مع تشتت الاهواء وتشعب الاراء على شيء كاجماعهم على تعظيم مـن ذكرناه واكبارهم انهم[2] يزورون قبورهم ويقصدون مـن شاحط البـلاد وشاطئها[3] مشاهدهم ومدافنهم والمواضع التي وسمت[4] بصلاتهم فيها وحلولهم بها وينفقون في ذلك الاموال ويستنفدون الاحوال، فقد أخبرني من لا أحصيه كثرة أن أهل نيسابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كل سنة الى طوس لزيارة الامام أبي الحسن علي ابن موسى الرضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة والاهبة[5] التي لاتوجد مثلها الا للحج الى بيت الله[6] .

وهذا مع المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة وازورارهم[7] عن هذا الشعب ، وما تسخير هذه القلوب القاسية وعطف هذه الامم البائنة[8]

---

١) فى نسخة : [وما اجمع] وهوالموجود فى المصدر .

٢) فى المصدر : فانهم .

٣) شحط البلاد : بعد . وشاطيء البلاد : اطرافها. وفى نسخة : [شاطنها] من شطن الدار : بعد .

٤) فى نسخة : رسمت .

٥) فى نسخة من الكتاب وفى المصدر : الاهب .

٦) فى المصدر : الى بيت الله الحرام وهذا مع ان .

٧) اى انحرافهم .

٨) فى المصدر : الامم النائية .

الا كالخارق للعادات والخارج عن الامور المألوفات ، والا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة المنحازين عن هذه الجملة [1] على أن يراوحوا هذه المشاهد ويغادوها ويستنزلوا عندها من الله تعالى الارزاق ويستفتحوا الاغلال [2] ويطلبوا ببركاتها [3] الحاجات ويستدفعوا البليات، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك ولا تقتضيه ولا تستدعيه والا فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم ، وأكثرهم يعتقدون امامته وفرض طاعته، وأنه في الديانة موافق لهم غير مخالف ومساعد غير معاند.

ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، فان الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة وعندها هي مفقودة ولا لتقية واستصلاح فان التقية هي فيهم لا منهم ولا خوف من جهتهم ولا سلطان لهم وكل خوف انما هو عليهم فلم يبق الا داعي الدين ، وذلك هو الامر الغريب العجيب الذي لا ينفذ في مثله الامشية الله [4] ، وقدرة القهار التي تذلل الصعاب وتقود بأزمتها الرقاب .

وليس لمن جهل هذه المزية أوتجاهلها وتعامى عنها وهو يبصرها أن يقول: ان العلة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ماعظمتموه وفخمتموه وادعيتم خرقه للعادة وخروجه من الطبيعة ، بل هي لان هؤلاء القوم من عترة النبي صلى الله عليه وآله، وكل من عظم النبي صلى الله عليه وآله فلابد من أن يكون لعترته [5] وأهل بيته معظماً مكرماً ، واذا انضاف الى القرابة الزهد وهجر الدنيا والعفة والعلم زاد الاجلال والاكرام لزيادة أسبابهما .

---

١) فى نسخة : عن هذه الجهة .

٢) فى المصدر : ويستفتحوا بها الاغلال .

٣) فى نسخة : ببركاتها .

٤) فى نسخة : خشية الله .

٥) فى نسخة : لاهل بيته وعترته .

والجواب عن هذه الشبهة الضعيفة أن شارك[1] أئمتنا عليهم السلام في حسبهم ونسبهم وقراباتهم مـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيرهـم ، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدنيـا بادية وسمات جميلة وصفات حسنة من ولد أبيهم عليه وآله السلام ومن ولد العباس [2] رضوان الله عليه ، فما رأينا من الاجماع على تعظيمهم وزيـارة مدافنهم والاستشفاع بهـم في الاغراض والاستدفاع بمكانهم للاعراض والامراض ، وما وجدنا مشاهداً معايناً في هـذا الشراك [3] .

ألافمن ذا الذي أجمع على فرط اعظامه واجلاله من سائر صنوف العترة في هذه الحالة يجري مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم أجمعين ، لان من عدا من ذكرناه من صلحاء العترة وزهادها ممن يعظمه فريق من الامة ويعرض عنه فريق، ومن عظمه منهم وقدمه لاينتهي في الاجلال والاعظام الى الغاية التي ينتهي اليها من ذكرناه .

ولولا أن تفصيل هـذه الجملة ملحوظ معلوم لفصلناها على طول ذلـك ولاسمينا من كنينا عنه ونظرنا بين كل معظم مقدم مـن العترة ليعلم أن الـذي ذكرناه هو الحق الواضح ، وماعداه هو الباطل الماضح [4] .

وبعد فمعلوم ضرورة أن الباقر والصادق ومن وليهما من الائمة [5] صلوات الله عليهم أجمعين كانوا في الديانة والاعتقاد[6] وما يفتون من حلال وحرام على

---

١) في المصدر : [ان قد شارك] وفيه : وقرابتهم .

٢) « « ومن ولد عمهم العباس .

٣) في نسخة [الاشتراك] وفي المصدر : في هذا الاشتراك والا .

٤) مضح عرضه : شانه وعابه . مضح عنه : ذب .

٥) في المصدر : من ائمة أبنائهما .

٦) في نسخة : والاجتهاد .

خلاف مـا يذهب اليه مخالفوا الامامية ، وان ظهر شك في ذلك كلـه فلاشك ولاشبهة على منصف فيأنهم لم يكونوا على مذهب الفرقة المختلفة المجتمعة[1] على تعظيمهم والتقرب الى الله تعالى بهم .

وكيف يعترض ريب فيمـا ذكرنـاه ؟ ومعلوم ضرورة أن شيوخ الأمامية وسلفهم في تلك الأزمـان كانوا بطانة للصادق[2] والكاظم والباقر عليهم السلام وملازمين لهم ومتمسكين بهم ، ومظهرين أن كل شيء يعتقدونه وينتحلونه ويصححونه أو يبطلونه فعنهم تلقوه ومنهم أخذوه، فلو لم يكونوا عنهم بذلك[3] راضين وعليـه مقرين لابوا عليهم نسبة تلك المذاهب اليهم وهـم منها بريئون خليئون ، ولنفوا مابينهم من مواصلة ومجالسة وملازمة ومـوالاة ومصافاة ومدح واطراء وثناء، ولابدلوه بالذم واللوم والبراءة والعداوة ، فلو لم يكونوا عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدين وبهـا راضين[4] لبان لنـا واتضح ، ولو لم يكن الا هذه الدلالة لكفت وأغنت .

وكيف يطيب قلب عاقل أو يسوغ في الدين لاحد أن يعظم في الدين من هو على خلاف ما يعتقد أنـه الحق وماسواه باطل ، ثـم ينتهي في التعظيمات والكرامات الى أبعد الغايات وأقصى النهايات ، وهل جرت بمثل هذا[5] عادة أومضت عليه سنة ؟ .

أولايرون أن الامامية لاتلتفت الى من خالفها من العترة وحاد عن جادتها

---

١) فى نسخة : [المجمعة] وهو الموجود فى المصدر .

٢) « « [بطانة للباقر والصادق ومن وليهما] وهوالموجود فى المصدر .

٣) فى المصدر : فلولم يكونوا بذلك .

٤) فى المصدر : فلو لم يكن انهم عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدون وبهاراضون.

٥) فى المصدر : بمثل ذلك .

في الديانة ومحجتها في الولاية ، ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم فضلا عن غايته وأقصى نهايته ، بل تتبرأ منه وتعاديه وتجريه في جميع الاحكام مجرى من لانسب له ولاحسب له ولاقرابة ولاعلقة .

وهذا يوقظ على أن الله خرق في هذه العصابة العادات وقلب الجبلات ليبين من عظيم منزلتهم وشريف مرتبتهم. وهذه فضيلة تزيد على الفضائل وتربى[١] على جميع الخصائص والمناقب ، وكفى بها برهاناً لائحاً وميزاناً راجحاً ، والحمد لله رب العالمين [٢] .

---

١) أى تزيد . وفى المصدر : توفى .

٢) احتجاج الطبرسى : ٢٨٢-٢٨٤ .